

ابن عثيمين وتحرير العقل السَّجِين

(قيلت في رثاء ابن عثيمين رحمه الله)

شوال ١٤٢١هـ - يناير ٢٠٠١م

أَشْجَانٌ تَتَلَّوْا أَشْجَانَا وَالْحُزْنَ يُجَدِّدُ أَحْزَانَا
وَمِنَ الْحَرَمَيْنِ سَرَى نَبَا أَبْكَى الْأَعْلَامَ وَأَبْكَانَا
عَلَّمٌ وَلَّى وَمَضَى عَنَّا رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ عَثِيمَانَا
قَدْ كَانَ مَعَا قَلَمًا وَفَمَا يَهْدِي الْحَيْرَانَ وَرِيحَانَا
إِحْسَانًا حِلْمًا إِنْفَانَا فِي فَقْهِ فَاقَ الْأَقْرَانَا
وَمِنَ الْوَحْيَيْنِ لَهُ مَدَدٌ قَدْ أَعْلَى اللَّهُ لَهُ شَانَا
وَالشَّيْخُ كَذَلِكَ نَحْسَبُهُ وَأَسْجَلُ نَظْمِي عِرْفَانَا
سَيُشِيدُ بِهِ كَذِبُ الدُّنْيَا لَوْ كَانَ مَسِيحًا فَتَانَا^٢
إِنْ غِبْتَ فَعَلْمُكَ حَاضِرُنَا أَوْ مُتَّ فَارِثُكَ أَحْيَانَا
مَا كُنْتَ إِمَامًا فِي فِئَةٍ تَبْنِي لِفِرْيَقِ بُنْيَانَا

١ الوحيين : الكتاب والسنة .

٢ المقصود أنه لو كان الشيخ أحد الفنانين الممسوخين لقامت كل وسائل الإعلام الكاذب بتكثير الكلام والفعاليات عنه .

كَلَّا بَلْ تَبْنِي مَنْ كَانَا	فِي السِّدِّينِ تَرَاهُمْ إِخْوَانَا ^١
شَتَّانَ الْقَوْلُ وَتَفَعَّلُهُ	وَالْقَوْلُ شِعَارًا شَتَّانَا ^٢
كَمْ نَحْنُ نَقُولُ بِإِلَّا فِعْلٍ	وَدَعَاوَى النَّاسِ دَعَاوَانَا
وَضَيَّاعُ السِّدِّينِ تَنَارُغُنَا	وَكَاثِبَا صِرْنَا أَدْيَانَا
بِكَيِّئَاتٍ خَلَفَتْ بَدَنًا	وَكَاثِبَا صِرْنَا أَبْدَانَا ^٣
وَالوَاحِدُ مِنْهَا مُخْتَزِلٌ	فِي الْفَرْدِ وَرَهْطٌ أَحْيَانَا
وَالرَّهْطُ يُعْزَلُ جُمُهورًا	قَدْ يُعْطِي الْعِصْمَةَ مَجَانًا
وَالْعِصْمَةُ إِجْمَاعُ الْفَتَوَى	لَيْسَتْ جُمُهورًا نَشِوَانَا ^٤
قَدْ كَانَتْ أُمَّتَنَا طُودًا	وَعَدُونًا ضِغْثًا أَعْصَانَا ^٥
لَا يُمَكِّنُ نَجُجُوا أَشْهَاءَ	أَبْدَانًا وَتُصَانُ خَلَايَانَا
إِلَّا أَنْ تُصَبِّحَ إِخْوَانَا	كَالْجِسْمِ الْوَاحِدِ بُنْيَانَا
مَا لَمْ نَفْعَلْ صِرْنَا نَتَّى	لَوْ نُؤَدِمُنْ عِظْرًا إِدْمَانَا

١ كان الشيخ إماماً للمسلمين كافة يعلم ويربِّي منهم أيَّ شخص، ولم يكن اهتمامه مُحصراً في فئة أو تيار .

٢ هنالك فرقٌ بين الشعار وبين الفعل، والشيخ كان يلتقي فعله مع شعاره .

٣ في تنازعنا يضيع تدبُّينا ونظهر وكأننا أديانٌ مختلفة، ورغم أننا جسدٌ (بدنٌ) واحد فنظهر وكأننا أجساد .

٤ الأجساد أو الأبدان كلُّ واحد منها مُختزِلٌ في فردٍ هو الزعيم ورَهْطٌ يسرون خلفه، وهذا الرَّهْطُ يُغازل الجُمُهور لكي يُعطي وسام القداسة والعصمة للفرد ! - ومن إعطاء العصمة ضيمُّا المديح والمبالغات - وفي بعض الأحيان قد تُضاف القداسة والعصمة للرَهْطِ أو بعض أفرادِه ! مع أن العصمة الحقيقية هي في إجماع أهل الفتوى من العلماء المجتهدين، فالأمة لا تجتمع على ضلالة، وليس إعطاء العصمة من جمهورٍ مَقْتُونٍ ببعض الزعامات .

٥ كانت أمتنا جبلاً مَنِيَعًا وأصبحت بالتفرُّق ضعيفة كخزْمةٍ من الأغصان .

وَالْأُمَّةُ جَلِدْتُهَا صَوْنٌ	مَنْ يَخْرُجُ أَنْتَنَ إِنْتَانَا ^١
مَحْضُ الْإِسْلَامِ وَلَا بَدْعٌ	بِالْمَحْضِ الْخَالِقِ أَسْمَانَا ^٢
فَلِنَاخُذْ بِالْأَهْدَى دِينَا	لَوْ أَفْتَانَا مَنْ أَفْتَانَا
أَخْذًا فِي الْقَوْلِ بِأَحْسَنِهِ	لِنُطِيعَ بِبِذَلِكَ الْقِرَائِنَا ^٣
وَالْعَاقِلُ لَا يَرْضَى قُفْلًا	لِلْعَقْلِ وَيَرْضَى سَجَانَا
وَقِنَاةً وَاحِدَةً فِعْلًا	كَالسِّجْنِ تَشْلُ الْأَذْهَانَا
وَالْحُرُّ يُحَاذِرُ تَقْلِيدًا	حَتَّى لَوْ سَاوَمَ دُكَّانَا ^٤
يَأْبَاهُ الْحُرُّ لِسِلْعَتِهِ	أَفْلا نَأْبَاهُ لِأُخْرَانَا ^٥
وَقِرَاءَتِنَا الْعَوْرَا نَقْصٌ	وَالْأَعْوَرُ أَشْهَرُ نَقْصَانَا ^٦
وَالْمَذْهَبُ حَصْرٌ لِلْفِتْوَى	وَالْحِزْبُ يُحِبُّ الْعُمَيَّانَا

١ منهج الإسلام كالجلدة التي تجتمع الجسد ، وحيث تنكشف الجلدة يتعفن ذلك الجزء ويؤتّن ولو أكثرنا عليه العطر!

٢ وهذا المنهج هو محض الإسلام من غير بدع ، وبالإسلام المحض سمّانا الله (هو سمّاكم المسلمين من قبل) الحج .

٣ لقوله تعالى : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الزمر .

٤ والعاقل لا يقبل عقله ويسجنه فيسمع من جهة واحدة أو قناة واحدة أو مذهب واحد فقط ، بل يفتح النوافذ ليستمع من عموم العلماء الربانيين ، فكما لا يقبل المشتري دكاناً واحداً في شراء السلعة بل يساوم أكثر من دكان ، فكذلك العاقل يستمع من العلماء ويتبع الأحسن ، والأحسن هو ما عليه الدليل من كلام الله أو كلام رسوله .

٥ الحرُّ لا يرضى التقليد في السلعة بل يفحص ؛ فكذلك يفحص من باب أولى في أمور دينه وآخرته .

٦ والقراءة العوراء كما قال شيخنا العمراني أن يقرأ الشخص في اجتهاد واحد دون أن يقرأ في الاجتهادات الأخرى ، فكأنه بذلك ينظر بعين واحدة .

وَالْمَذْهَبُ لَا يُلْغِي وَدًّا
لَوْ كَانَ يُرَاعِي الْإِيمَانَ^١

فِي السَّاحَةِ تَبَعُ سَاسَتَنَا
زُمَرًا تَتَلَوْنَ أَلْوَانَا

فِي حِينَ نَصَلِّي أَجْمَعَنَا
بِمَامَاةٍ كُفِّءَ إِخْوَانَا

فِي الْمَسْجِدِ يُفْتِنَنَا كُفِّءُ
فِي السَّاحَةِ يُفْتِي مَنْ كَانَا

وَالْخَاتَمُ وَحَدَّ بَيْنَهُمَا
وَالْعَالَمُ وَارِثُهُ الْآنَا^٢

قَدْ كَانَ الْخَاتَمُ مَرْجِعَهُمْ
لَوْ أَعْطَى الرَّايَةَ أَحْيَانَا^٣

وَالْعِلْمُ الْمَادِبَةُ الْكُبْرَى
مَا زَالَتْ تَدْعُو الضُّيْفَانَا

وَالْحَضْرُ مُحَالٌ فِي فِتْنَةٍ
أَبَدًا لَا يُمَكِّنُ إِمَّكَانَا

إِذْ خَالَ الْأُمَّةُ فِي فِتْنَةٍ
كَالْقُبَّةِ تَدْخُلُ فِنْجَانَا

وَاللَّهُ يُوَلِّفُ إِنْ نُحْسِنُ
يَمْنَحَنَا الْأُلْفَةَ إِحْسَانًا^٤

وَخِلَافَتَنَا بِأُخُوتِنَا
لَا نَخُوتُنَا لَا دَعْوَانَا

١ والتعصب لمذهب واحد معناه انحصار الفتوى والمرجعية ، والاقْتِصَارُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى مَذْهَبٍ قَدْ يَنْفَعُ فِي الْعَامَّةِ إِلَّا أَنَّهُ ضَرَّرَ فِي حَالِ الْحِزْبِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ ، فَإِذَا كَانَ الْمُتَمَذِّبُ أَعْوَرَ فَالْمُتَحَرِّبُ أَعْمَى ، وَلَا ضَرَرَ مِنَ الْمَذْهَبِيَّةِ مَعَ الرَّبَّانِيَّةِ لِأَنَّ الرَّبَّانِيَّةَ تَنْقِي الْعَصَبِيَّةَ .

٢ تَذَكَّرَ الْأَبْيَاتُ أَنَّنَا مَنقَسِمُونَ سِيَاسِيًّا تَبَعًا لِتَعَدُّدِ أَحْزَابِنَا ، وَالْإِسْلَامُ يَرِيدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا جَمِيعًا حِزْبًا وَاحِدًا هُوَ حِزْبُ اللَّهِ ، فِي حِينِ إِنْنَا فِي صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ نَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ خَلْفَ إِمَامٍ وَاحِدٍ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ مَذَاهِبُنَا ، وَالنَّبِيُّ الْخَاتَمُ وَحَدَّ بَيْنَ السِّيَاسَةِ وَالْمِحْرَابِ ، وَالْعُلَمَاءُ وَرِثَتُهُ الْآنَ ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَجْتَمِعَ الْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُمْ ، وَلَكِنْهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ، وَبِهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَذْهَبِيَّةِ وَالْحِزْبِيَّةِ .

٣ وَحَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ السِّيَاسَةِ وَالْمِحْرَابِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَرْجِعَهُمَا مَعًا ، وَإِنْ كَانَ يُعْطَى الرَّايَةَ أَحْيَانًا لِهَذَا وَأَحْيَانًا لِهَذَا ، وَالْعَالَمُ هُوَ وَارِثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآنَ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَرْجِعُ لِتَأَلُّفِ الْقُلُوبِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَبِذَلِكَ يَرْتَفِعُ الْخِلَافُ .

٤ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ مَادِبَةٌ لِلْجَمِيعِ ، وَالْعُلَمَاءُ بِالشَّرْعِ هُمْ مَرْجِعُ الْأُمَّةِ ، وَلَا يُمْكِنُ جَمْعُ الْأُمَّةِ فِي جَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مَذْهَبٍ وَاحِدٍ ، وَلَكِنْ الاجْتِهَادَاتُ الْفَقْهِيَّةُ مَعَ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالْأُلْفَةِ لَا يَقَعُ مَعَهَا الْاِخْتِلَافُ ، وَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَنَا فَسَيُؤَلِّفُ بَيْنَنَا كَمَا أَلَّفَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَغْمَ تَعَدُّدِ اجْتِهَادَاتِهِمُ الْفَقْهِيَّةِ .

وَالْأُمَّةُ وَحَدَّهَا نَهَجٌ
 فَكَفَى فِرْقًا وَكَفَى مِرْقًا
 بِاللَّهِ عَلَيكُمْ لَا تَذَرُوا
 وَمِنَ الْخُرْطُومِ لَنَا دَرَسٌ
 وَمِنَ الْأَقْطَارِ بِأَجْمَعِهَا
 مَا بَالُ الشَّيْعَةِ أَشْتَاتًا
 وَالسَّيِّئِينَ جِهَادٌ تَضْحِيحَةٌ
 مَا كَانَ كَذَلِكَ مَسْكَنَةً
 بِالسَّيْفِ بُعِثْتُ يَقُولُ لَنَا
 وَلِذَاتِ الرَّاحَةِ فَلَسَفَةٌ
 أَرْجُو يَامَنْ تَتَلَوُ شِعْرِي
 سَلَفًا وَيُوحِّدُهَا الْآنَا
 وَكَفَى فِي الْأُمَّةِ إِتْحَانَا
 لِلَّهِ عَلَيكُمْ سُـلْطَانَا
 وَمِنَ الْبُسْفُورِ وَعَمَّانَا
 أَضُنُّنَا الْقَرْنَ وَأَضُنُّنَا
 حَكَمُوا بِالْوَحْدَةِ إِيْرَانَا
 مَا كَانَ خِطَابًا رِنَانًا^٢
 أَوْ فِكْرًا يُدْهِنُ إِذْهَانًا^٣
 مَبْعُوثٌ لَمْ يَكُ نَوْمَانًا^٤
 عَنِ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَنْهَانَا^٥
 أَنْ تُحْسِنَ ظَنُّكَ إِحْسَانَا

١ والخلافة ستقوم بيننا على عماد الأخوة ، وليس على التَّخَوُّرِ والغُرُورِ والدَّعْوَى ، والمَنْهَجُ الشرعي وحَدُّ السلف وهم الصحابة ومن بعدهم وسوف يوحدنا الآن ، فيجب الحذر من التمزق حتى لا يكون لله سلطانٌ علينا فيعذبنا .
 ٢ ولنا دروسٌ من سائر البلدان الإسلامية في أضرار الاختلافات ، فقد أُنْعَبْنَا هذا القرن وأُنْعَبْنَا . وهؤلاء الشيعة وحَدُّوا مرجعيتهم في العلماء فحكّموا إيران ، فلماذا لا نوحّد مرجعيتنا نحن أهل السنة؟! لا بد أن نجاهد ونضحي لأجل ذلك بعيداً عن الخطابات والشعارات الرئانة .
 ٣ ليس الدين مسكنة ولا مدهنة .
 ٤ يقول عليه الصلاة والسلام : (بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له) ، والمقصود أن مؤامرات الأعداء كبيرة ومن ذلك تمزيقهم الأمة كما حصل خلال هذا القرن ، ولن نقف مؤامراتهم ضيقاً إلا إذا كنا أقوىاء .
 ٥ وإن إعداد القوة حتى تكون للأمة شوكة تصدّ الأعداء لا يتفق مع فلسفة الراحة التي تميل إليها النفوس .

إِلَّا الْإِعْرَازَ لِمَوْلَانَا

وَلَعَمْرُ اللَّهِ فَمَا قَصْدِي

أَوْ زَوْرَ قَوْلِي مَن كَانَ

لَا أَعْفِي مَن يُخْفِي قَصْدِي

وَالْحَقُّ مَرِيرٌ أَحْيَانَا

وَالْحَقُّ جَمِيعاً غَايَتَنَا

أَبَدًا أَوْ يَخْشَى إِعْلَانَا

لَا يَخْشَى الْحَقُّ مُوَاجَهَةً

يَرَعَاكَ اللَّهُ وَيَرَعَانَا

فَأَفْهَمَ عَنِّي غَرَضِي فَضْلاً

* * *